

240803 - هل ترك قيام الليل يخل بوصف التقوى ؟

السؤال

هل من لا يقوم الليل ليس بتقى ؟ لأن من صفات المتقين في القرآن الاستغفار بالأسحار.

ملخص الإجابة

وخلاصة الجواب :

- أن قيام الليل من صفات المتقين ، ومما يعين العبد على تحقيق تقوى الله .

- أن ترك قيام الليل لا ينفي عن العبد اتصافه بتقوى الله الواجبة .

- أن من ترك قيام الليل فقد فاته شيء من تقوى الله المستحبة .

والله أعلم.

الإجابة المفصلة

التقوى من (وقى) ، وحقيقةتها أن تجعل بينك وبين ما تخافه وتحذرها وقاية ، قال ابن رجب الحنبلي في ” جامع العلوم والحكم ” (1 / 398) : ” وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذرها وقاية تقىه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه ، وقاية تقىه من ذلك ؛ وهو فعل طاعته ، واجتناب معاصيه .

وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل ، كقوله تعالى: (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) [المائدة: 96] ، قوله: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) [الحشر: 18] ، فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى، فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يُتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي ، قال تعالى: (ويحذركم الله نفسه) [آل عمران: 28] ، وقال تعالى: (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) [المدثر: 56] ، فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطیعوه ، لما يستحقه من الإجلال والإكرام ، صفات الكبراء والعظامه وقوة البطش ، وشدة البأس ” انتهى.

وقال ابن القيم في ” الرسالة التبوکية ” (1 / 13): ” وأما التقوى : فحقيقةتها العمل بطاعة الله ، إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً، فيفعل ما أمر الله به ، إيمانا بالأمر ، وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه ، إيماناً بالنهي ، وخوفاً من وعيده ، كما قال طلق بن حبيب: ” إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى ” قالوا: وما التقوى؟ قال: ” أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ” وهذا أحسن ما قيل في حد التقوى ” انتهى.

وأما وصف الله تعالى للمتقين في قوله (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَهَنَّمْ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا من اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) الداريات / 15 - 17.

فليس في الآية ما يشير إلى أن قيام الليل شرط في التقوى الواجبة؛ بل كل ما فيها أن قيام الليل من صفات المتقين، وهذا أمر واضح لا إشكال فيه؛ لأنه إذا كانت التقوى فعل المأمورات وترك المنهيات، فإن قيام الليل مما أمر الله به، أمر استحباب، ولأن الصلاة من أعظم ما يعين العبد على أمور دينه.

قال تعالى: (وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاصِيَّعِينَ) البقرة / 45.

قال السمعاني في تفسيره (1/ 74): ”استعينوا بهذين (الصبر والصلاحة) على الدين؛ لتقووا على الإقبال على الآخرة والإعراض عن الدنيا“ انتهى.

وفي جانب ترك المنهيات والمحرمات خصوصاً قال الله تعالى: (إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِيمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت / 45.

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في ”الاستقامة“ (1/ 318): ”فَإِنَّ الصَّلَاةَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى (تنهى عن الفحشاء والممنكر) وهَذَا أَمْرٌ مَجْرُبٌ مَحْسُوسٌ؛ يَجِدُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ“ انتهى.

والتفوي تنقسم إلى : تقوى واجبة ، وتقوى مستحبة .

فالتفوي الواجبة هي فعل الواجبات ، واجتناب المحرمات ، ثم يكون أداء النوافل ، من الصيام ، والقيام والذكر ، من جملة التقوى المستحبة ، والكمال المستحب في الدين ، والإيمان ، والتقوى ؛ فإن كل ذلك مما يزيد وينقص ، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة .

روى البيهقي في ”الزهد الكبير“ (964): ”أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصَيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقَيْامِ اللَّيْلِ، وَالثَّلْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْزُكُ مَا حَرَمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ“ .

فمن أتي بقيام الليل ، وصيام النهار : زاد إيمانه وتقواه .

ومن أخل بذلك ، نقص من إيمانه وتقواه ، بحسب ما نقص وضعيف من ذلك ؛ فإن الإيمان يزيد ، حتى لا منتهى له ، وينقص ، حتى لا يكون منه شيء ؛ بحسب ما يجيء العبد به من الطاعات والمعاصي .

قال الصناعي رحمه الله :

”وَأَمَّا الْمُتَّقُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيْنَ مَنْ هُمْ، وَفَسَرُهُمْ فِي صُدُرِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، حِيثُ قَالَ: (هُدَى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة:2]؛ كَانَهُ قِيلَ مِنْ هُمْ؟ قَالَ: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَنَا هُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [البقرة:3-2].

فوصفهم بأنهم من اتصف بهذه الصفات الست، وهي صفات مركبة من أجزاء الإسلام ، ومن أجزاء الإيمان، كما في آية الأنفال ، حيث ذكر الله تعالى صفات المؤمنين حقاً، مركبة من أجزاء النوعين . وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث جبريل ، وقد قال له: ما الإسلام يا محمد؟ قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتوطئ الزكاة وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) ؛ فجعل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أجزاء الإسلام .

فالآيات أشارتا بذكر بعض أجزاء الإسلام ، وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، إلى اعتبار الإسلام بجميع أفراده، إلا أنهم خصتا أعظم أجزائهما البدنية والمالية ، ويعلم الصوم والحج بالسنة التي وردت بياناً للقرآن، فإن بيانه بتفصيل مجمله، وتقدير مطلقه، وتفسير

مبهمه، وغير ذلك.

وأشارت بالإيمان وزيادته إلى اعتبار الإيمان بأجزائه، فأفادتنا أنه لا يكون العبد مؤمناً إلا باستكماله لخصال الإسلام والإيمان.

وأشارت آية البقرة إلى أن المتدينين هم الجامعون بين الإسلام بقوله: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [البقرة:3]، والإيمان بقوله: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) الآية.

وإذا عرفت هذا ، فقد بين القرآن أولياء الله بياناً شافياً : أنهم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى، ثم بين تعالى الإيمان وأجزاءه، والتقوى وأجزاءها.

ثم بعد تقرير هذا؛ فلا ريب أن رتبة الإيمان تتفاوت إلى زيادة ونقصان، حتى ينتهي الإيمان إلى مقدار مثقال الخردلة، كما وردت به الأحاديث النبوية الثابتة الصحيحة، وقد قرر في محاله، كما أن رتبة التقوى تتفاوت “انتهى، باختصار يسير من “الإنصاف في حقيقة الأولياء” للصنعاني (7-6).

وفي النهاية ننبه على فضل قيام الليل وأنه من أفضل القربات وأجل الأعمال الصالحة كما سبق بيانه في الفتوى رقم: (50070).